صافي ناز محمد كاظم

في مسألة السفور والحجاب

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً ... ﴾ (١)

(صدق الله العظيم)

● « لقد نشرنا روح التحرر الكاذب بين شعوب الأغيار لإقناعهم بالتخلى عن أديانهم بل والشعور بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان ومزاياها وأوامرها ونواهيها ... إنما الأهم من ذلك : أننا نجحنا كذلك فى إقناع كثيرين بالإعلان جهاراً عن إلحادهم الكلى وعدم الإيمان بوجود خالق ألبتة ! بل وأغويناهم بالتفاخر لكونهم من أحفاد القرود » !

(مجمع البناى بريث - ١٩٣٦)

(١) النساء : ٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أصبح الحجاب فى الشارع المصرى ظاهرة متنامية بدأت على استحياء منذ سنوات ثم أصبحت مَداً لا يمكن تجاهله . وهو على ما يبدو يمثل ثلاثة أصناف من الشخصية النسائية فى مصر :

١ - المترددة : التى تريد أن تكون على الحرف تجنباً للصراع مع الوضع السائد ، وهذه تكتفى بارتداء الثوب الطويل مع الأكمام الطويلة وفوق رأسها طاقية تجمع شعرها أو ما يسمى بـ « البونيه » .

٢ - الملتزمة بالفريضة : وهى المكتفية بالخمار والثوب الطويل الفضفاض ولا تجد مانعاً من التفنن فى التأنق فى لون وشكل الخمار وأسلوب ارتدائه معتمدة على أن الحجاب الشرعى الذى أجمع عليه الفقهاء هو الذى يظهر الوجه والكفين فقط .

٣ - المتنفلة : أى التى تحب أن تقدم مع أداء الفريضة : « النافلة » وهو ما زاد تطوعاً من عند الإنسان فى طاعته وعبادته قُرْبة لوجه الله سبحانه وتعالى . وهذه ترتدى النقاب الذى يظهر العينين فقط وأحياناً تغطى وجهها كله مع لبس عباءة أو جلباب قاتم اللون طويلاً ملامساً

للأرض وواسعاً فضفاضاً . وهؤلاء يعتمدن فى اختيارهن هذا على نص الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (١) ، حيث أجمع المفسرون على أن « الإدناء » كلمة تعنى تغطية الجسم من الرأس إلى القدم فيكون معنى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ هو تغطية الوجه أيضاً مع الشَعر مع لِبْس القفاز والجورب لعدم إظهار الكف والقدم كذلك .

وبين لابسة الخمار ولابسة النقاب يكون الواجب الشرعى على المرأة فى الحجاب ما بين حد أدنى وحد أقصى إذا جاز لنا هذا التعبير .

* * *

خارج إطار المحجبات تقف مجموعة غير ملتزمة بالفرائض أو بالفريضة . وهن حرائر فى اختيارهن بالطبع لكن نلاحظ أنهن ومعهن ووراءهن كثير من الرجال بعضهم يشغل مناصب توجيهية فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون والجامعة والمدرسة ووزارة الداخلية : يقف هؤلاء ويصيحون فى غضب أحياناً ، وفى هدوء فلسفى أحياناً ، وفى قلق نفسى وتربوى أحياناً أخرى متسائلين تساؤلات تنم عن أن وعيهم الإسلامى قد انحسر تماماً رغم أنهم والحمد لله كلهم من

---

(١) الأحزاب : ٥٩

المسلمين المؤمنين . وهذه التساؤلات فى حالة الغضب والتوتر تأخذ تلك الصيحة : « هل هذا هو الإسلام ؟ إن الإسلام من هذا براء » ! ولا نعرف بالطبع على أى سند شرعى يستند صاحب الصيحة على براءة الإسلام من الحجاب المفروض على المرأة بشكل حسمه القرآن الكريم حسماً واضحاً لا لَبْس فيه . وفى حالة الهدوء الفلسفى - والفلسفة أساساً سؤال - تأخذ التساؤلات نغم الناى الحزين المردد لموال البؤس على شاطئ النيل فنسمع : « ترى أى اكتئاب حطّ على القلوب الشابة الصبية حتى لجأن إلى الحجاب يتوارين فيه » ؟ أما التساؤلات النفسية والتربوية فهى فى الواقع تكون تحليلات تصل إلى نتائج وإجابات تقرر أن : الحجاب حالة اكتئاب أدى إلى تطرف نتج عن الفراغ السياسى والعاطفى بسبب هزيمة ١٩٦٧ لكن - إن شاء الله - بعد انتصار أكتوبر وخطوات السلام ستهدأ الحالة وستخرج النساء جميعهن عن طاعة الله ورسوله لينتظمن من جديد تحت طوع وإشارة بيير كاردان وشانيل ومدربى السباحة والرقص الشعبى والباليه ! وتؤكد التحليلات المتفائلة أن الحجاب انحراف مؤقت ومرض عارض باستثناء المنقبات فهؤلاء أجمع المحللون على أنهن حالة هيستيرية لا أمل فى الشفاء منها ويستحسن اضطهادهن أينما كن مع إحالة أوراقهن لوزارة الداخلية حسب الاختصاص .

* * *

والذى يلاحظه ويعرفه المسلمون الملتزمون يختلف تماماً - بل هو نقيض - عما يراه ويقرره المسلمون المؤمنون غير الملتزمين الذين لم يراجعوا كتابهم « القرآن الكريم » منذ وقت طويل : فطال عليهم الأمد وأصبحوا مسلمين بشكل غائم فاستقطبتهم أفكار غير إسلامية تطرفوا فى الانجذاب إليها فتبلبل وجدانهم الإسلامى وأصيبوا بالتطرف خارج الإسلام - هداهم الله ونجاهم من شر الإعشاء والزيغ وفقدان الرؤية التى تؤدى إلى الرجعية الإغريقية قبل المسيحية أو الرجعية الجاهلية العربية قبل الإسلام .

* * *

يلاحظ المسلمون الملتزمون أن السفور كان حالة طارئة بدأت على استحياء منذ ما يقرب من خمسين عاماً ، وبلغت أوجها منذ ثلاثين عاماً ، ثم بدأ صعودها البيانى فى التوقف ثم الهبوط ولا يزال آخذاً فى الهبوط السريع منذ عشر سنوات : وأن المؤشرات كلها تؤكد أن السفور يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة وستعود بالحتم السيادة لقانون الله وأمره بالحجاب . ويلاحظ الجميع أن السفور فى الواقع لم يكن مسيطراً إلا على شريحة صغيرة من تعداد المرأة المصرية المسلمة والقبطية على السواء : فالمرأة الريفية والصعيدية والشعبية لم تتخل أبداً عن الحجاب وهذا أمر دليله وبرهانه فى جولة يقوم بها ذو عينين مسافراً بين القرى والنجوع .

* * *

● السفور حالة طارئة :

إذن فالبحث يكون مع التساؤل : كيف تسرب « السفور » – تلك الحالة الطارئة – إلى معاقل الحجاب وقلاع المرأة المسلمة ؟

كيف تحولت قضية « تحرير » المرأة المسلمة إلى حملة « سفور » ؟ وكيف أخذت كلمة « تحرير » مدلول « سفور » رغم أن التحرير يأخذ فى الإسلام مدلول الحجاب : فكانت المحجبة هى « الحرة » والسافرة هى « الأمَة » ؟ وهل كانت المعركة التى انتصر فيها « السفور » على « الحجاب » فى بلاد الإسلام هل كانت معركة شريفة حقاً انتصر فيها « السفور » لأنه التطور الحضارى المرتقب – كما زعموا ويزعمون – ولأنه الرغبة الفعلية للمرأة واختيارها الحر من أجل خلاصها ؟

* * *

● نزع الحجاب بالقوة :

الثابت تاريخياً أن حركة « السفور » تطابقت زمنياً فى بؤر الإسلام القوية الثلاث : مصر ، تركيا ، إيران . فلقد ألقت هدى شعراوى وسيزا نبراوى حجابهما وداستاه بأقدامهما فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولى الذى عقد بروما صيف ١٩٢٣ . وفى تركيا قام أتاتورك عام ١٩٢٥ بإجبار تركيا بأكملها – وليس المرأة فقط – على هجر الإسلام كلية حتى الحرف الذى تكتب به اللغة التركية متشابهاً

مع لغة القرآن ، أما نزع حجاب المرأة التركية فقد تم بالإرهاب والإهانة فى الطرقات حين كان البوليس يقوم بنزع حجاب المرأة التركية بالقوة . وعندما نصب الإنجليز الكولونيل « رضا خان » شاه إيران عام ١٩٢٦ مؤسساً للأسرة البهلوية قام هو الآخر من فوره بأمر البوليس بالتعرض لكل امرأة محجبة ونزع حجابها غصباً وحظر على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب ودخول مدارسهن به ، ومنع أياً من ضباط الجيش من الظهور فى الأماكن العامة أو فى الشوارع برفقة امرأة محجبة مهما كانت صلتها وقرابتها به .

هذه الرياح العاصفة التى هبت هكذا فى منتصف العشرينيات لتقلع المرأة المسلمة من اختيارها العقائدى الحر بالتزام الحجاب الشرعى - متدبرة هذه الآية الكريمة : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً ﴾ (١) . (صدق الله العظيم)

- هذه الرياح العاصفة القامعة الإرهابية هل كانت صدفة فى المنطقة ؟ وهل كان تركيزها على حجاب المرأة المسلمة مسألة عفوية قُصد به الحجاب فعلاً وخلاص المرأة أصلاً أم كانت تستهدف فى ضميرها ما هو أخطر وأبعد من الحجاب ؟

* * *

(١) الأحزاب : ٣٦

● الخطوة البهائية :

بمنهج التحليل الدرامى الذى يراجع الخيوط والخطوط والشخصيات والكلمات والعرض المسرحى ورؤى المخرج المطروحة ، سوف ننتقل إلى مشهد بعيد حدث عام ١٨٤٤ : فى أول مؤتمر عقد « للبهائية » : بمدينة بدشت بإيران ، وقفت سيدة فاتنة الجمال اسمها « قرة العين » داعية لهذا الدين الجديد المزيف الذى اسمه « البهائية » - نسبة إلى « بهاء الدين » مدّعى النبوة ثم الألوهية - وقفت « قرة العين » تؤكد زعامتها بين اتباعها بإعلانها نسخ الشريعة الإسلامية وإنهاء رسالة محمد ﷺ مدّعية أنه بداية من تلك اللحظة السوداء - ١٨٤٤ - تبدأ الشريعة البهائية فى احتلال مكان الشريعة الإسلامية وتقديم نفسها بديلاً للدعوة الإسلامية - والعياذ بالله .

ماذا كانت أول خطوة اتخذتها « قرة العين » هذه لتأكيد كلامها ولإعلانها بداية العصر البهائى على أرض الإسلام ؟

نزعت « قرة العين » حجابها - الذى كانت تلبسه بصفتها فى الأصل مسلمة من إيران - وتزينت وخرجت من خيمتها سافرة بزينتها الكاملة أمام الرجال قائلة كلمتها الفاجرة : « المرأة مثل الزهرة خُلقت للضم والشم ، ولا ينبغى أن يُعَد أو يُحَد شاموها بالكيف والكم ، فالزهرة تُجنى وتُقطف ، وللأحباب تُهدى وتُتحف ... » ! [(١)] .

---

(١) مذكور بنص آخر مشابه عند محسن عبد الحميد ، « حقيقة البابية والبهائية » ، مطبعة الوطن العربى ، بغداد .١٩٨ ص٨١ - ٨٣ . وعند ميرزا محمد مهدى خان ، =

بعد هذه الخطوة البهائية التى كانت رمزاً لنسخ وإلغاء الشريعة الإسلامية ، قامت هدى شعراوى وسيزا نبراوى صيف ١٩٢٣ بخطوة مشابهة محققتان - بوعى منهما أو بلا وعى - قرار « قرة العين » بإلغاء الشريعة الإسلامية متبعتان لدعوتها فى إقرار الشريعة البهائية بديلاً عن الإسلام - والعياذ بالله - حيث تحولتا بذاتهما إلى مستوطنتين متحركتين للتعاليم البهائية التى أفرخت الآلاف ثم الملايين من المستوطنات المنفذة للتعاليم البهائية الخارجة عن الإسلام : بدأت الخطوة بنزع النقاب ثم تعرية الشَعر والنحر حتي وصلت إلى المايوه البكينى ... إلخ .

* * *

عند هذه الصورة التى أضعها أمام أنظارنا لنتأملها سوياً ، أتوقف هنيهة من البداية لأفترض حسن النية والجهل عند كل هؤلاء الذين - واللاتى - أضلوا أنفسهم وأضلوا المرأة المسلمة منذ مطلع القرن حتى الآن ، لكن افتراضي هذا لا يمنع حق اجتهاد المحللين الباحثين عن علاقة ما محتملة جداً ، سرية أو علنية بين الحركة البهائية ومسيرتها السرطانية الخفية الدؤوبة - التى لا نشعر بها إلا بعد ظهور الأورام وتفشى الموت فى الدم واللحم والعظم - وبين قيادات ودعاة سفور المرأة المسلمة على مساحة ديار الإسلام .

* * *

= « مفتاح باب الأبواب » ، مطبعة مجلة المنار الإسلامية ، مصر ١٣٢١ هـ ، ص١٨١ - (طبعة قديمة نادرة موجودة في مكتبة الجامع الأزهر الشريف) .

● مبادئ البهائية السبعة :

وما دمنا قد لمسنا خيط « البهائية » فلا بد أن يقودنا هذا الخيط إلى خيطين آخرين متشابكين معه حتى لتحسب أن الثلاثة خيط واحد. وأعنى بالخيطين : « الماسونية » و « الصهيونية » . هذه الخيوط الثلاثة أو الخيط الواحد فى أصله الذى ولد الكثير من اليرقات الخبيثة التى نضجت سوياً لتصنع فى العالم الإسلامى ما أسميه « العصر البهائى الماسونى الصهيونى » . هذا العصر الذى دلف إلينا خلسة دون أن يشعر بزحفه أحد ودون أن يتعرف عليه أحد باسمه أو يدركه بمعرفة أو وعى وحيث وجدنا « البهائية » بكل سماتها ومبادئها ومحللاتها فى عقر دارنا ، على مائدة طعامنا ، داخل ثوبنا وعقولنا وفوق جبيننا وعلى منطق لساننا ، ونحن مسلوبون لها ، مسيَّرون ومصيَّرون بها كالبجع المسحور وهى محيطة بشهيقنا وزفيرنا إحاطة الهواء الأصفر الملوث المتصاعد من الأبخرة السامة .

وقبل أن نسترسل ، نمسك بخيط « البهائية » أولاً لنعرف من أين بدأ وكيف انتهى إلينا أو انتهينا إليه مع الخيوط الأخرى . وبأقصى اختصار ممكن ، استناداً إلى كتاب خصب هو « حقيقة البابية والبهائية » للدكتور محسن عبد الحميد [1] ، نعرف أن البهائية تكونت عام ١٨٤٤ فى إيران جنيناً فى رحم سفارتى روسيا القيصرية وبريطانيا ، حين بدأت كلتا السفارتين فى التعاون والتنافس فى

---

(١) المصدر السابق .

اختيار وتشكيل عملائها من شياطين الإنس ليؤدوا دور الإله والنبى والدعاة قصداً لضرب الإسلام على أرضه وفى عمقه حتى تتفتت تلك القوة المعجزة الكامنة التى ما إن تتحرك فى الصدور حتى تحيل الجوعى المرضى المستضعفين إلى مردة جبارين لا سبيل إلى إخماد جذوة نيرانهم . وكان من المنطقى لهذا الجنين - ابن رحم الاستعمار الشرقى والغربى - أن يولد ويدرج متنامياً فى ملاعب كل معسكرات القوى المعادية لدين الإسلام والطامعة فى أرضه حتى صار يافعاً . وكانت أهم الخدمات المطلوبة من طفل الأنانيب الاستعمارية هذا : إبطال الشريعة الإسلامية ونسخها واقعياً بتحليل كل محرّماتها وتجميل تلك المحرّمات لتصير نهجاً فى حياة المسلمين وممارسات يومية عادية . فلو وصلنا بقفزة هائلة إلى تلخيص مركّز لمحور تعاليمها ولُب شريعتها لوجدنا أنها تنادى أساساً بالمبادئ التالية :

١ - إبطال الجهاد ورفع شعار السلام بين الظالم والمظلوم وضرورة الخضوع لكل حاكم حتى ولو كان ظالماً أو مستعمراً أجنبياً ، وفى هذا يقول « عبد البهاء » للبهائيين : « ... وتكونوا خاشعين للسدة الملكية لكل ملك ، وأن تخدموا الملوك بنهاية الصداقة والأمانة ، وتكونوا مطيعين لهم ومحبين لخيرهم ، وألا تتدخلوا فى الأمور السياسية من غير إرادتهم وإجازتهم ... » (١) .

٢ - فصل الدين عن الدولة والدعوة للنظم العلمانية والخضوع لها (٢) . (ترويجاً لمثل هذه الدعوة أذكّر القارئ بكتاب « الإسلام

(١) المصدر السابق ص ١٥٨

(٢) المصدر السابق ص ١٤١ - ١٤٢

وأصول الحكم » الذى أخرجه على عبد الرازق عام ١٩٢٥ وكان الغرض من بحثه إثبات أن الإسلام دين وليس دولة وأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان رسولاً نبياً لكنه لم يؤسس دولة إسلامية ولم يدع إلى تكوين خلافة أو نظام حكم إسلامى وكان هدف على عبد الرازق تثبيت رأى سير توماس أرنولد الذى أورده فى كتابه « الخلافة » - صدر عام ١٩٢٤ فى اكسفورد - وحاول على عبد الرازق إسناد مغالطات سير أرنولد بتخريجات « ألعبانية » من القرآن والسُنّة تحرِّف الكلم عن مواضعه بتوثيق وتوقيع شيخ عالِم من الأزهر . وهذا الكتاب مطروح حالياً فى السوق بطبعة حديثة جيدة مزودة بتعليق للدكتور ممدوح حقى - منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٨ وثمنه ثلاثة جنيهات) .

٣ - إباحة الربا : فيقول الميرزا حسين - وهو ما يسمى بالبهاء الذى أعلن نفسه إلهاً بعد إدعائه أنه هو المسيح الذى عاد إلى الدنيا بعد رفعه حياً إلى السماء - يقول هذا الإله المزيف فى إباحة الربا : « ... لذا فضلاً على العباد قررنا الربا كسائر المعاملات المتداولة بين الناس أى ربح النقود ، فمن هذا الحين نزل فيكم الحكم المبين من سماء المشيئة صار ربح النقود حلالاً طيباً طاهراً » ! (١) .

٤ - إباحة الخمر والخنزير وإلغاء أصول الذبح الإسلامى التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم وبث الاستخفاف بها عند المسلمين رغم صريح

(١) المصدر السابق ص ١٤٢

الآية الكريمة : ﴿ وَلا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

٥ - تحريم الحجاب والدعوة إلى السفور مع إطلاق العلاقات الكاملة بين الجنسين من دون حدود (٢) - (نلاحظ بعد اكتمال السفور حتى العرى الكامل فى ملابس البحر والرقص والسهوة كان التكثيف بين الكُتّاب والأكاديميين مدعى العلمية هو الترويج لإطلاق العلاقات الحرة - الزنا - بين الجنسين مع التحوط من النسل تحت الشعار البراق : « الصدق مع المشاعر » !) .

٦ - الانسلاخ من التراث الإسلامى واللحاق بركب التبعية الأوروبية ، يقول عبد البهاء : « أصبحت المدنية الغربية متقدمة عن الشرقية وأصبحت الآراء الغربية أقرب إلى الله من آراء الشرقيين » (٣) .

٧ - إنكار القيامة والبعث بعد الموت فيقول كتابهم « البيان » : « .... تكون الدنيا هكذا إلى الأبد ... وكل ظهور هو عبارة عن قيام ونشور ... أتحسبون أن الحساب والميزان فى غير هذا العالم ؟ قل سبحان الله عما يظنون ... » (٤) .

---

(١) الأنعام : ١٢١

(٢) المصدر السابق ص ٨١ ، ١٦٢ ، ١٦٣

(٣) المصدر السابق ص ١٧٨

(٤) المصدر السابق ص ٩٤

ولا أظنني وأنا أسرد تلك النقاط السبع الجوهرية فى الحركة البهائية بحاجة إلى تعليق يلفت نظر القارئ والقارئة إلى ما نشاهده فعلاً حولنا واضحاً جلياً يثبت لنا ويفيد بأن التعاليم البهائية الخربة اكتسحت الخير ونجحت - من دون إعلان عن هويتها - فى تثبيت أقدامها على أنوفنا حاجبة عنا ضوء الإسلام الصادق . عازلة شريعته الإلَهية فى ظل الزوايا تحارب وتجاهد - وهى محاصَرة ومتربص بها - من أجل أن تمد يدها إلى أهلها المنفيين الغرباء داخل مدنهم ودورهم ، بَيْد أنى محتاجة إلى التأكيد بأن هذا الزحف البهائى لم يطوقنا بغتة ، وهو وإن كان ثمرة لمخطط شيطانى أسود رهيب أخذ مداه على مساحة سنوات تعدت القرن ، إلا أنه ما كان لينجح لو أن المسلمين لم يغفلوا ولم تتراخ قبضاتهم عن حبل الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١) .

* * *

● إجهاض البعث الإسلامى :

المتأمل للنصف الأخير من القرن التاسع عشر مع مطلع القرن العشرين ، فى إطار الوطن الإسلامى ، لن يغيب عنه تميز هذه الفترة بالنشاط والحيوية : نشاط وحيوية المخاض : التحضير والإعداد وشحذ الهمم والطاقات لإرساء بدايات واعدة لنهضة وبعث شعوب

---

(١) الرعد : ١١

المنطقة من سباتها الطويل وتمهيد الأرض لميلاد صحى للأجنة الشرعية المنبثقة من الإسلام متجاوزة عصور الكبوات والتحريف ، مادة حبلها السرى لتتغذى مباشرة من صدر الإسلام . وكان جمال الدين الأفغانى شعار المرحلة وتلخيصها .

● لكن :

هل كان من المقبول لدى الطيور المفترسة المحوِّمة - القادمة من الغرب المستعمر للانقضاض وللثأر من صلاح الدين - أن تترك للمخاض النبيل مداه حتى يولد طفل الحلم الجميل ؟

الإجابة هى : الواقع الذى حدث على مدار السنوات الطويلة الماضية والواقع الذى يحدث الآن .

كان الغرب قد تعلم ، منذ الحروب الصليبية ، أن الحرب الصريحة المعلنة بالجيوش لضرب الإسلام نتيجتها الهزيمة ، فقد استجاشت فى صدور المسلمين النار الخطرة التى استعر لهيبها ما يزيد عن القرنين حتى تم اندحار المعتدين على يد القائد المسلم - الكردى - صلاح الدين وجنده المسلمين على اختلاف أجناسهم . وكان على الحقد الغربى أن يتريث ليغير أسلوبه للوصول إلى غرضه القديم وهو : اغتصاب كل الأرض التى انتشرت عليها العقيدة الإسلامية ، وحصر أمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فى جزيرة العرب بعد تمزيقها أشتاتاً فى قبائل جاهلية مرتدة عن دين الله الحق يضرب بعضها أعناق بعض . وكان الغرب قد نجح ، بالغدر ونقض العهد والإرهاب فى محو الإسلام نهائياً من أرض الله أسبانيا أندلس المسلمين عام ١٦٠٩ م -

(أيام العصر الشيكسبيرى : بعد تأليف هاملت وقبل وفاة شيكسبير بسبع سنوات : أيام العصر الذهبى للحضارة والثقافة الغربية فى أوروبا) - ويشهد المستشرق نيكلسون على أسلوب إبادة المسلمين من أرض الله أسبانيا فيقرر هذه الأسطر الصفعة على وجه الحضارة والرقى الأوروبى المزعوم ، فيقول نيكلسون فى كتابه : « التاريخ الأدبى للعرب » (ص ٤٤١) ما أترجمه حرفياً : « فى عام ١٤٩٢ م فتحت آخر قلاع عرب الأندلس لفرديناند وإيزابيللا ، وحلّ الصليب محل الهلال على أبراج غرناطة ، وأظهر المنتصرون تعصباً وحشياً بلغ من بشاعته أنه انتهك تعهداتهم المغلظة بأن يحترموا الدين وممتلكات المسلمين ، وتناقض تعصبهم تناقضاً كاملاً مع التسامح والمعاملة الليبرالية التى تمتع بها المسيحيون تحت الحكم الإسلامى . وأمام الإجبار على الاختيار بين الردّة أو الهجرة فضّل الكثير من المسلمين الهجرة ، أما هؤلاء الذين بقوا فقد تعرّضوا لاضطهاد بشع حتى جاء عام ١٦٠٩ م ، فتم بأمر من فيليب الثالث ، طرد كل مَن كان من أصل عربى وتم طردهم من الأرض الأسبانية طرداً جَماعياً .. » [1] .

وهكذا بعد موقعة النصر - بالغدر والإرهاب - على مسلمى الأندلس الغافلين ، استمرأت الشهية الغربية لحم المسلمين ووجدوا أن فى الصيغة المؤلفة من الخديعة والتسلل مع الإرهاب والغزو ما يمكنهم من الانتصار على صلاح الدين ولو بعد حين . ومن ثَمَّ حين ماج القرن

---

(١) A Lfterary history of the Arabs, R.A. Nicholson , Cambridge Univ. Press. 1977. P. 441 .

التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بمخاض بعث إسلامى كانت حربة إبليس ذات الثلاثة أسنان قد تصويت ونشبت فى لحم المنطقة مجهضة طفل الإسلام الشريف طارحة – فى المقابل – أطفالها : « بهائية » ، « صهيونية » ، « ماسونية » : توائم دميمة ثلاثة لمنطلق واحد واستراتيجية واحدة وبتكتيك يختلف باختلاف الموقع والتكليف :

● فالبهائية : تطلب السلام بين القاتل والمقتول ونزع السلاح من المظلومين والمجنى عليهم ، بينما تتسلل تفكك عرى المسلمين مع شريعتهم : عروة عروة حتى الانسلات الكامل .

● والصهيونية : تمارس الاغتيال والإرهاب ، واغتصاب الأرض شبراً شبراً ثم وطناً وطناً .

● والماسونية : تلف حبائلها لتشد وتشل إلى قيادتها وتوجيهاتها عقول المثقفين والأدباء والشيوخ والعلماء والقادة الاجتماعيين والساسة وتصنع على عينيها الأحزاب السياسية التى تسرق البعث من الإسلام والوحدة من المسلمين ليصير البعث بعثاً من العصبية العرقية الجاهلية قبل الإسلام ، وتكون الوحدة بين كل مَن تبرأ فى سلوكه من الإسلام – بدعوى شعار برّاق آخر هو « مسايرة العصر » – وكل مَن انحاز للعلمانية وتبنى النقاط السبع الجوهرية فى البهائية وأهمها :

١ – فصل الدين عن الدولة .

٢ – إباحة الربا .

٣ – نزع حجاب المرأة المسلمة .

* * *

● إهدار الحقوق الشرعية للمرأة :

لا أحد يمارى فى أن المرأة المسلمة فى العالم وفى مصر كانت ، قبل وعند مطلع القرن العشرين ، ترسف فى أغلال تراكمات السنوات الطويلة من الإهمال والجهل والحرمان من حقوقها الشرعية التى كفلها لها الإسلام فى التعلم والدراسة واختيار الزوج ... إلخ ، وكانت ، فى إطار الظلم العام والتآمر الذى كان واقعاً على المواطن المسلم على مساحة الوطن الإسلامى ، كانت تعانى ظلماً مضاعفاً وتتهدد بتآمر أخطر . وكان علماء الدين التقليديين قد ركنوا إلى قواقع هربوا إليها منسلخين عن مسئوليتهم الإسلامية الجوهرية فى ريادة الأمة والاضطلاع بحمل متطلباتها السياسية والاجتماعية والثقافية ، فى الوقت الذى لم تأخذ قضية تحرير المرأة المسلمة شيئاً يذكر من اهتمام الطليعيين من رجال الدين الثوار . فكان حظ المرأة المسلمة من الالتفات - إسلامياً - لمحنة ظلمها الاجتماعى الذى أعادها إلى عذابات موروثات من العقلية الجاهلية قبل الإسلام التى يسوِّد وجهها كلما بُشِّرت بالأنثى فتلجأ إلى وأدها ، كان حظ المرأة المسلمة هو ترديد مبتور للآية الكريمة : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ... ﴾ (١) مع إغفال الآية الملحقة : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾ (٢) مع ما تعطيه هذه الآية الكريمة من

(١) الأحزاب : ٣٣ (٢) الأحزاب : ٣٤

منهج قرآنى مرسوم لمهمة المرأة المسلمة التى أمرت من قبَل القرآن بالتزام بيتها : لا لكى تجلس - كما كان يحدث لقرون طويلة - فى فراغ أو زحام من الجهل والتفاهة واللافاعلية ، ولكن لتأدية عديد من المهمات لإعدادها كادراً إسلامياً لها موقعها الأساسى فى المجتمع الإسلامى منها :

أولاً - المهمات التعبدية : رياضة لجسمها وروحها : ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ (١) .

ثانياً - المهمات التعليمية : بناء لعقلها وثقافتها ووعيها ، ومن ثمَّ فاعليتها فى جسم المجتمع الإسلامى : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ... ﴾ (٢) ، وعند كلمة « الحكمة » تنبجس أمامنا المئات من عيون المعرفة والخبرات وأبواب توظيفها . وتتشكل أمامنا ، تربوياً وعلمياً وثقافياً ، تلك المرأة المسلمة كما يرسمها القرآن الكريم ويريدها الله والرسول ونرى - بعين الرؤية الإسلامية - : امرأة نظيفة ، نشطة ، جادة ، لها زيها المتميز عن الجاهلية وعن الكتابية ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ .. ﴾ (٣) تغض بصرها لكنها لا تخضع فى القول : فهى قوية نابهة تدربت إسلامياً لتعرف الفرق بين التهذيب والضعف الذى يثير الطمع . وهى

(١) الأحزاب : ٣٣ (٢) الأحزاب : ٣٤ (٣) الأحزاب : ٥٩

متفقهة فى دينها : تعرف كتابها وتوجيهات رسولها وتتلقى من منابعهما « الحكمة » التى تربى وعيها كذلك لتتعرف على إمام زمانها الذى عليها أن تبايعه وتتبعه نصرة لله والرسول وهى امرأة قارئة ، كاتبة ، متأملة ، مفكرة : مستنبطة ، مستوعبة : تعرف تفاصيل قوانين شريعتها وفقهها ، كما تعرف أصول حكومتها وتدرك كيف يكون الحاكم العادل ومتى يصير - بالمفهوم الإسلامى - جائراً فتلزم وتؤمر مع مجتمعها المسلم تقويمه ونصحه أو مجاهدته .

هى نصف متزامل مع الرجل المسلم فى حشد بديع يأتى به القرآن صفاً من ضياء وعبق المسك كما ورد فى الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (١) .

* * *

هذه الصورة الكريمة الناصعة للمرأة المسلمة كما حدد معالمها القرآن الكريم طمست وتلاشت ، إلا فى حالات استثنائية نادرة ، عبر

---

(١) الأحزاب : ٣٥

القرون التى اتخذ فيها المسلمون « هذا القرآن مهجوراً » فتحولّت المرأة المسنمة إلى كائن جاهل خامل متخلف الحس والإدراك ، فاقد الوعى منكمش فى تواجد باهت على هامش المجتمع . وكان لا بد أن يؤدى هذا الطمس والجور على قانون الله إلى سرقة مطلب « تحرير المرأة » من منطلقاته وتصوراته الإسلامية بعد أن تقاعس علماء المسلمين عن أن يكونوا أول مَن يقود الحملة لمحو أمية المرأة والدفاع عن حقوقها الشرعية وإعادتها إلى ملامح ومعالم صورتها كما قررها القرآن لتنبعث حرة عزيزة من أرضيتها العقائدية وتراثها الثقافى والفكرى .

* * *

● « تجار الشنطة الثقافية » :

وهكذا وفى غياب المبادرة الإسلامية للتصويب ، وقعت قضية تحرير المرأة المسلمة فى أيدى غير الأمناء ممن لا ينطلقون من أرضية أو تصور إسلامى ، وتقدم كل مَن هبّ ودبّ ليدلى بدلوه فى مسألة تحرير المرأة المسلمة : ما بين صديق جاهل وعدو ماكر استطاع فى نهاية الأمر - بعدائه ومكره - أن يكتل الصديق الجاهل إلى معسكره المعادى للإسلام ويستثمر جهله لضرب معاقل المسلمات وهتك سترهن كجزء من المخطط الأسود الشامل على كل الأصعدة لضرب الإسلام والمسلمين وإلغاء شريعتهم - لا سمح الله - حيلولة ومنعاً لانبعاثهم الحتمى رحمة للعالَمين ولو كره الكافرون .

* * *

وفى مولد هذا الشعار البرّاق « تحرير المرأة » انفسح المجال أمام الرواد العظام من « تجار الشنطة الثقافية » القادمين من أوروبا - ومن أمريكا أخيراً - ليصولوا ويجولوا محمّلين بأشكال وأنواع بضاعة الثقافة الغربية ، بموروثاتها الجاهلية الوثنية الإغريقية ، ومعها نماذج المرأة الأوروبية والأمريكية التى كانت قد نالت حريتها حديثاً متشكلة من رصيد فكرى واجتماعى ودينى خاص بها وحدها لا تنتمى إليه ولا يمكن أن تنتمى إليه المرأة المسلمة بحال .

وككل الباعة الجائلين ، كانت أصوات « تجار الشنطة الثقافية » هؤلاء أعلى الأصوات وأكثرها صخباً . وككل الباعة الجائلين كذلك ، كانوا يعرفون الكلمة التى تقال لتبهر وتجتذب ، والبضاعة التى تُدَس لتسلب . ونعجب الآن ونحن ننظر إليهم على بُعْد ما ينيف عن النصف قرن : كم كان واضحاً كونهم مندوبى مبيعات شامخى الأنوف مع مواطنيهم مهدورى الكرامة للرؤوس الأوروبية الغربية الداهية من صهاينة وصليبيين وماسون . وكم كان واضحاً - رغم الحذلقة - تشتتهم الفكرى وسطحيتهم - كنقال ببغاويين - بنداءاتهم الفجة التى لا تخلو من وقاحة وسوقية لهجر التأصيل من الذات لحساب التبعية الفكرية لغرب يمقتنا : ديناً وجنساً وتاريخاً ويمارس علينا فوقية وغطرسة واحتقاراً وهو يحضر الأنشوطة وراء الأنشوطة لتلتف حول

أعناقنا جاذبة جباهنا عند أقدامه : جباهنا نحن : المسلمين أصحاب العزة من الله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١] .

كان مطلب « تجار الشنطة الثقافية » هؤلاء أن يجعلونا ننظر بإكبار لإنجازات أوروبا - بسبب ما وصلت إليه من قوة البخار والكهرباء ! - ونضعها أمامنا قدوة ومثلاً أعلى نسعى للوصول إليه ونتشكل بشكله ، ومن ثَمَّ يصير كل شئ ينتسب إلينا أو ننتسب إليه ، يتعلق بنا أو نتعلق به من أصولنا : يصير سَلَفياً ، جامداً ، مرفوضاً يجب التنصل منه والاعتذار عنه كأنه جذام أو عاهة . وكان المطلوب أن نعتقد معهم بأن أوروبا والغرب قلعة للحرية والديمقراطية والتمدن واحترام الإنسان بينما يدوس النعل الأوروبى والغربى وجه الوطن الإسلامى : اغتصاباً وإرغاماً وسحقاً تاماً للإنسان وحريته وكرامته واستقلاله . هؤلاء الباعة الجائلون : الصم العمى الثرثارون من « تجار بضاعة الشنطة الثقافية » يكتب عنهم لويس عوض - ممثلهم اليوم - مؤيداً بأنهم أبناء الثقافة الغربية والمفهومات الغربية والوثنية الفرعونية - القومية المصرية - ويضعهم بسبب ذلك موضع الاستحسان والافتخار مما يثبت لنا أن عمليتنا الحسابية سليمة حيث نضعهم نحن موضع الاستياء والإدانة [٢] .

* * *

---

(١) المنافقون : ٨

(٢) لويس عوض ، مقال : تأملات فى الثقافة المصرية ، الأهرام ٢٤ مايو ١٩٨١ ص ١٢ عمود ٤ سطر ١٩ - ٢٧

مع سرقة مطلب تحرير المرأة المسلمة ووقوعه فى أيدى الجهلة والأعداء « وتجار الشنطة الثقافية » : كان الدأب منذ البداية لجعل القضية : قضية « تحرير المرأة » فقط مع إسقاط التعيين « المسلمة » ومن ثمَّ ربطها بقضية تحرير المرأة فى العالَم كأنما صارت هناك قومية خاصة اسمها « القومية النسائية » تربط المرأة المسلمة بالمرأة المسيحية بالمرأة اليهودية بالمرأة عابدة البقر والأوثان ، بالمشركة ، بالملحدة ... إلخ كأن قضيتهن واحدة ومطالبهن واحدة وأهدافهن واحدة ومعتقداتهن واحدة . وكان السعى فعلاً حثيثاً لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية ، وكلما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها وتقريظها بأنها لا تفترق عن الأجنبية ! حتى سقطت المرأة المسلمة فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر التى ظلت معتزة بزيها الخاص - السارى - وتميزها بالنقطة الحمراء بين عينيها .

كذلك كان الدأب الأهم لفصل قضية تحرير المرأة المسلمة عن قضية تحرير الوطن المسلم ، وفصل قضية الظلم الواقع عليها عن قضية الظلم الواقع على الرجل المسلم : تجزئة للقضية الواحدة من أجل أن تتفتت فى مسارات متباينة متعارضة بل ومتصارعة : إذ لم يقف الأمر عند الفصل بل تعداه إلى أن جعلت المرأة المسلمة تقف خصماً أمام الرجل المسلم وأمام الوطن المسلم : تقف خصماً ضد شريعتها : تمتلئ رعباً وهلعاً كلما قيل لها : هناك مَن يطالب بتطبيق حكم شريعتك ، وتنفرج أساريرها فرحة بانتصار انهزامى كلما خرجت النظم العلمانية بقانون

خائب للأحوال الشخصية مستلهم من قوانين الغرب المستعمر لبلادها، المهيمن على مقدرات أهلها ، المستذل لناسها المقيد لحرياتهم والواقف عقبة فى طريق تحررهم واستقلالهم : راجية - فى بلاهة واستخذاء - العدل من أيدى الجناة : لاجئة إلى السجان والجلاد لكسر قيدها وعتق رقبتها .

* * *

● قاسم أمين :

كان قاسم أمين أحد هؤلاء الباعة الجائلين من « تجار شنطة الثقافة الغربية » حيث كان ممن أسهموا بجدارة فى التواء النهضة المصرية عن انبعاثها العربى الإسلامى الإبداعى لتكون نهضة ثقافية اجتماعية صورية قردية مستهلكة لإنتاج مصانع الفكر الغربى ونافذة عرض دعائى له : يدعو بحماس - تترقرق معه الدموع أحياناً - لتقليد رجاله ونسائه ونظام معيشته - كأن التقليد صار فى ذاته من الاختراعات المبتكرة ! - حتى يقول فى كتابه « المرأة الجديدة » الذى ألفه فى أغسطس سنة ١٩٠٠ :

« نحن لا نستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت فى فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها ، فليس خطؤها فى ذلك أكبر من خطئها فى كثير من الأمور الأخرى ... » .

حتى يصل بقوله إلى : « .. والذى أراه أن تمسكنا بالماضى إلى هذا الحد هو من الأهواء التى يجب أن ننهض جميعاً لمحاربتها ، لأنه

ميل إلى التدنى والتقهقر ... هذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر إلى علاجه ، وليس له من دواء إلا أننا نربى أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها . إذا أتى هذا الحين – ونرجو أن لا يكون بعيداً – انجلت الحقيقة أمام عيوننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربى ، وتيقناً أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما فى أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة » [١] .

ربما لم يكن قاسم أمين – (١٨٦٣ - ١٩٠٨) – بهائياً أو ماسونياً من حيث الانتماء الفعلى ، وإن كانت ميتته المفاجئة فى ٢٢ إبريل ١٩٠٨ ، بعد أسبوع واحد من إلقاء خطبته الأخيرة للدعوة لإنشاء الجامعة المصرية فى ١٥ إبريل ١٩٠٨ تتشابه كثيراً مع أساليب الاغتيالات الماسونية الغامضة المفاجئة لأعضائها ، على كل ، ليس هذا ما يشغلنا أو يهمنا فالذى يهمنا إسلامياً ولا شك فيه هو : أن كتابات قاسم أمين الزئبقية المخادعة ، فى أسلوبها ومحاور ارتكازاتها ومغالطاتها ، قد أفادت كثيراً الحركة البهائية العاملة على أرض الإسلام وأنها نفذت بدقة أهداف وأغراض الماسونية الرامية إلى إضعاف سيطرة الإسلام الأيديولوچية باعتباره دين ودولة بخلق فجوة

(١) قاسم أمين ، الأعمال الكاملة ، تحقيق د . محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٧٦ (٢٠٠٩/٢) .

تفصل المسلمين عن الإسلام حيث يُسلب المسلمون للتبعية الغربية ويُجفف الإسلام ويُحفظ ، باعتباره عمامة متحفية من التراث الهامد ، وتتيبس مناهله فلا يصبح أمام الوطن الإسلامي من منهل يستقى منه سوى الغرب : يتحكم ويعبث كما يشاء بالظمأى المنتظرين قطرات رحمته وغيث لطفه فيتم للتحالف الغربي المستعمر ، والصهيوني المغتصب الطامع ، ما أراد وما يريد بعد أن أخذت أوراق اللعبة كلها من أيدى المغفلين الغافلين .

أدى قاسم أمين - مع زملائه « تجار الشنطة الثقافية » - دور التشويش المطلوب الناجح والمشابه لتلك المعارك المفتعلة التي تتم في السوق حتى يتهيأ أثناءها للصوص والنشالين سلب وسرقة ونشل ما يريدون .

* * *

● **الدعوة لمحاكاة أوروبا :**

الأعمال الكاملة لقاسم أمين [١] تحتوى على جزئين . يضم الجزء الأول منها : كتاب « كلمات » ، مقالات « أسباب ونتائج ، مقالات « أخلاق ومواعظ » ، كتاب « المصريون » رد على « دوق داركور » كتبه قاسم أمين عام ١٨٩٤ بالفرنسية وترجم إلى العربية حديثاً جداً ،

(١) المصدر السابق .

خطاب « إنشاء الجامعة » ، خطاب « الإمام محمد عبده أخلاقه وفضائله وإمامته » . ويضم الجزء الثانى كتابيه : « تحرير المرأة » صدر ١٨٩٩ ، « والمرأة الجديدة » صدر . . ١٩

بعد قراءة هذه الأعمال الكاملة لقاسم أمين يتضح لنا على الفور أن « تحرير المرأة » بحد ذاته لم يكن - كما توقر فى الأذهان وأشيع - مشغولية قاسم أمين ، بل إن « تحرير المرأة » فى الحقيقة كان الشعار البرّاق والساتر الذى نفث من تحته قاسم أمين دعوته الفجة لـ « محاكاة أوروبا » طبقاً للمخطط المرسوم للتغريب لضرب اتجاهات واحتمالات البعث العربى الإسلامى للنهضة المصرية وتدعيماً لـ « ... منطق الدولة العلمانية التى كانت تُمارَس فى مصر بالفعل منذ عهد محمد على ... » على حد قول شاهد من أهله هو لويس عوض (١) .

يقول قاسم أمين فى دفاعه (!) عن مصر فى كتابه « المصريون » : « .. ولهذا كان أمامها (مصر) طريقان : العودة إلى تقاليد الإسلام ، أو محاكاة أوروبا . وقد اختارت الطريق الثانى ... إنها قد خطت اليوم بعيداً فى هذا الطريق حتى ليصعب عليها الارتداد عنه . إن مصر تتحول إلى بلد أوروبى بطريقة تثير الدهشة وقد أخذت إدارتها وأبنيتها وآثارها وشوارعها وعاداتها ولغتها وأدبها وذوقها وغذاؤها

---

(١) لويس عوض ، مقال : تأملات فى الثقافة المصرية ، الأهرام ٢٤ مايو ١٩٨١ ص ١٢ عمود ٢ سطر ٢٨

وثيابها تتسم كلها بطابع أوروبى ... لقد اعتاد المصريون قضاء الصيف فى أوروبا كما اعتاد الأوروبيون قضاء الشتاء فى مصر . فلعل أوروبا تقدِّر لمصر مسيرتها ولعلها ترد لها يوماً بعض هذا الود الكبير الذى تكنه لها مصر » [1] .

– (ولا بد من بعض تمتمة هنا : مَن هؤلاء المصريون الذين اعتادوا عام ١٨٩٤ ، أو حتى الآن ، قضاء الصيف فى أوروبا ؟ وأى ود كبير هذا الذى كانت تكنه مصر لأوروبا عام ١٨٩٤ : بعد الاحتلال البريطانى باثنى عشر عاماً)؟

ومع ذلك فلا يجب أن نعتبر أن كتاب « المصريون » شاهداً على أفكار قاسم أمين أو مرشداً لتحديد مبادئه ومعتقداته وموقفه لأنه – على الرغم من ولائه الواضح فيه لأوروبا وانحناء قامته البيِّن أمام الدوق المتعجرف وافتراءاته على الإسلام والمسلمين ومصر والمصريين – يظل يحتوى على محاولة قاسم أمين لـ « الدفاع » عن صورة مصر والمصريين و « شرح » الحكمة الإيجابية فى قوانين الشرع الإسلامى، وإن بدا هذا « الشرح » ذليلاً دونياً تبريرياً ملتمساً السماح من الدوق مناشداً إياه أن يعتبر « الإسلام » فى مرتبة « المجوسية » (!) فيقول : « إن الإسلام دين خُلُقى ، لا يقل عن المجوسية ولا عن المسيحية ، وإن روح القرآن لا تختلف عن الروح الإنجيلية ... » [2] .

---

(١) قاسم أمين ، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق : ٢٦٣/١

(٢) المصدر السابق : ٢١٧/١

لقد كتب قاسم أمين « المصريون » بدافع انفعال وقتى : رد فعل لصفعة ساخنة أحسها « إهانة ذاتية » لشخصه لكونه - ولا مفر - مسلماً مصرياً تحاصره وتلتصق به الاتهامات التى كالها « دوق داركور » للمصريين والمسلمين كافة ، وكان عليه أن يدفع عن نفسه هذه الاتهامات التى تشينه أمام أصدقائه « الأوروباويين » ، الذين يجب أن يظهر أمامهم وجيهاً يليق بمقامهم ، فكان رد فعله الأول أن ينكر هذه الاتهامات وينفيها من أساسها ، أما رد فعله الثانى - الذى أتى بعد ذلك تباعاً فى مؤلفاته التالية بعد ١٨٩٥ إلى تاريخ مماته ١٩٠٨ - فكان محاولته الخروج والتنصل من « الصورة » التى لا تعجب « الأوروباويين » وذلك باستعلاء انتهازى يجعله ينفصل عنها بإعلان اعتراضه عليها وتبرؤه منها مما يحقق له « ذاتياً » احتراماً وإعجاباً أوروبياً غربياً يستثنى به كصفوة لا ينطبق عليها ما أسخط « دوق داركور » وأمثاله على مصر المسلمة . بناء على ذلك نصب قاسم أمين نفسه « مصلحاً » و « موجهاً » و « مربياً » و « ناقداً » لمصر الإسلامية . يتبنى افتراءات « دوق داركور » ويتطوع على أساسها مدفوعاً بمركب نقص خانع - نيابة عن الدوق وعن أوروبا - العمل على محو الصورة الإسلامية التى لا ترضيهم والدعوة علانية بالتوجه الكلى نحو الغرب - ونتذكر هنا المقولة البهائية التى أشرتُ إليها من قبل والموصية بمثل هذا التوجه إلى الغرب .

وتبلورت شخصية قاسم أمين لتؤدى دورها كواحد من الأئمة الداعين إلى النار : الداعين لأجل أن تُخلق مصر ويُخلق المصريون على صورة الإله الأوروبى وتنحية الإسلام كلية خارج إطار المسخ الجديد لشخصية

مصر المحروسة : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (١) (صدق الله العظيم) .

وعلى ذلك لم يحاول قاسم أمين نقل كتابه الأول « المصريون » إلى العربية وإعادة إصداره فى مصر ، على العكس ، فقد قام بإلغائه تماماً حين ناقض فى مؤلفاته التالية أفكاره الدفاعية التى أوردها فى ذلك الكتاب سواء : المتعلقة بتقييمه للإنسان المصرى أو المتعلقة بالمرأة المصرية أو أحكام الشريعة وما يسميها « المدنية الإسلامية ». فبينمانجده فى كتابه « المصريون » يصف المصرى بالأمانة والشجاعة والذكاء وقوة الاحتمال ويعزى هذه الخصال الجيدة لحقيقة الهوية الإسلامية للمصرى ، نجده يقول بعد خمس سنوات فى كتابه « تحرير المرأة » : « ... فالتركى ، مثلاً ، نظيف صادق شجاع والمصرى على ضد ذلك ، إلا أنك تراهما رغماً عن هذا الاختلاف متفقين فى الجهل والكسل والانحطاط ، إذ لا بد أن يكون بينهما أمر جامع وعلّة مشتركة هى السبب الذى أوقعهما معاً فى حالة واحدة . ولما لم يكن هناك أمر يشمل المسلمين جميعاً إلا الدين ذهب جمهور « الأوروباويين » وتبعهم قسم عظيم من نخبة المسلمين ، إلى أن الدين هو السبب الوحيد فى انحطاط المسلمين وتأخرهم عن غيرهم ... » (٢) .

* * *

(١) القصص : ٤١ - ٤٢

(٢) المصدر السابق : ٧٢/٢

● التكتيك الماسوني :

في سبيل تنفيذ التوجه الكلي لـ « محاكاة أوروبا » نقيضاً للتوجه الإسلامي – عرف قاسم أمين وزملاؤه « تجار الشنطة الثقافية » ، بزعامة « المقاول » لطفي السيد الذي اختاروا له في لعبة أزيائهم التنكرية زي أستاذ الجيل ، عرف قاسم أمين المحورين الهامين اللذين يمكن أن يرتكز عليهما في عملية هدمه التخريبية وهما :

١ – اللغة العربية :

٢ – المرأة المسلمة .

فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وهي بهذا الاختيار الإلهي لغة مقدسة يُكلَّف المسلم – أياً كان جنسه – تعلمها وإجادتها ، فكلما أجاد المسلمون اللغة العربية وأتقنوها لفظاً ونحواً وإعراباً كلما تملكوها وعرفوا أسرارها وأعماقها : وكلما أمكنهم قراءة تراثها قديمه ومتوسط زمنه وحديثه : كلما انزرعت هذه اللغة المقدسة في القلوب والصدور واللسان : صحيحة ، خصبة ، ثرية ، ضخمة ، متواصلة وعندها يتم ويبقى ، استمرار التصاحب المثمر ، الممتع ، المؤدب ، المعلم ، المفقه بين المسلمين وبين دستور حياتهم ونبراس طريقهم في الدنيا والآخرة : كتابهم المنزّل : القرآن الكريم الذي اختاره الله لهم بلسان عربي مبين ، لا يجوز الأذان بغير هذا اللسان ، ولا تجوز الصلاة ولا يرسخ الدين الإسلامي بغيره .

وبتلخيص شديد نصل إلى أن : إتقان اللغة العربية وحمايتها ، يساوى ترسيخ للدين الإسلامى وحمايته .

إذن يكون من الصحيح كذلك أن : ضرب اللغة العربية وإضعافها أو استبدالها ، يساوى إضعاف الدين الإسلامى بسلب المسلمين وسيلة اتصالهم المباشر بقرآنهم .

ولم يغب هذا « التكتيك » الملعون عن شياطين الإنس وأوليائهم من أئمة الكفر ، فقد اعتمد هذا « التكتيك » فى تركيا الكمالية عند الإعلان الفورى لقرار أتاتورك بخلع اللغة التركية من الحرف العربى لكى تلبس الحرف اللاتينى الأوروبى حتى يُبتر التركى المسلم تماماً عن كتابه « القرآن » فلا يملك حتى قراءته ولو من دون فهم و « يترقى » بدلاً ومُثُلاً لقراءة فيلسوف حقير مثل « نيتشه » الذى كان قد أعلن – أستغفر الله – أن الله قد مات . ولم يملك رضا خان – الصول الذى نصبته إنجلترا فى انقلاب عسكرى شاهاً لإيران عام ١٩٢٦ مؤسساً للأسرة البهلوية – لم يملك رضا خان بهلوى أن يخطو فى إيران خطوة كمال أتاتورك فى تركيا بسبب الإمامة القوية لرجال الدين فى إيران وسيطرتهم – التى لا يمكن إغفالها – على جماهير الشعب الإيرانى المسلم . وكان رضا خان بهلوى يعرف أن رجال الدين لن يسمحوا له بهذا الإهدار الأتاتوركى فظلت اللغة الفارسية تُكتب بالحرف العربى لكنه تمكن مع ذلك من جعل تدريس اللغة العربية هامشياً مضمحلاً

فى مناهج الدراسة المبرمجة للمدارس الابتدائية والثانوية بحيث يتخرج الطالب الإيرانى المسلم جاهلاً كلية باللغة العربية - لغة قرآنه ومراجعه الدينية - مستخفاً بها غير شاعر بضرورتها بينما يتوجه باهتمام وتشجيع لاتقان الفرنسية والإنجليزية حتى يقرأ « هوجو » و « شيكسبير » !

* * *

وكان على مستخدمى هذا « التكتيك » فى أى بلد عربى أن يكونوا حذرين جداً وأن يغطوا هدفهم الحقيقى لهدم هذه اللغة بضجيج من الغيرة المصطنعة على مستقبل اللغة الغربية مع انتحال لهيئة المثقف المجتهد الداعى إلى الحركة والمعادى للجمود . وعلى هذا وجدنا الكثير منهم منذ مطلع القرن إلى الآن : منذ قاسم أمين وعبد العزيز فهمى حتى صلاح چاهين مروراً بسعيد عقل وكمال الملاخ ورجاء النقاش يلعبون لعبتهم - المكشوفة ولله الحمد - لنزع الفصاحة من اللغة العربية واعتماد كل سبيل ومنهج وأسلوب يضعفها على ألسن أبنائها حتى يصبحون ويمسون والقرآن بين أيديهم طلاسم غير مفهومة رغم كونه ﴿ كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) ، ﴿ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ (٢) .

وهكذا نسمع قاسم أمين يقول فى « اللغة » : « لا أدرى ما هى غاية الكُتّاب الذين إذا أرادوا التعبير عن اختراع جديد يجهدون

---

(١) الأنعام : ٥٩ (٢) فصلت : ٣

أنفسهم فى البحث عن كلمة عربية تقابل الكلمة الأجنبية المصطلح عليها ، كاستعمالهم مثلاً كلمة السيارة بدلاً من كلمة الأتوموبيل . إن كان المقصد تقريب المعنى إلى الذهن فالكلمة الأجنبية التى اعتادها الناس تقوم بالوظيفة المطلوبة منها على أوجه أتم من الكلمة العربية ، وإن كان مقصدهم إثبات أن اللغة العربية لا تحتاج إلى اللغات الأخرى فقد كلفوا أنفسهم أمراً مستحيلاً ، إذ لم توجد لغة مستقلة عن غيرها مكتفية بنفسها » (١) .

ومع هذا المقتطف الشاهد على كسله ورغبته فى الجمود على كلمة فرنسية مع وجود كلمة عربية مرادفة أسهل وأوضح نجده مع ذلك لا يخجل من انتحاله - بوقاحة - دور الشاكى المتأذى من إغلاق باب الاجتهاد فى اللغة فيكتب متأففاً نافداً صبره : « يظهر أن باب الاجتهاد أغلق فى اللغة كما أقفل باب التشريع ، فقد صار من المقرر بيننا أن اللغة العربية وسعت وتسع كل شئ » ! (٢) وحين يفتح حضرته باب الاجتهاد نجده يتادى بتطعيم اللغة العربية الفصحى بـ « ... طرق التعبير الجميلة التى نسمعها أحياناً فى لغة العامة ... » (٣) ، وحين يكتشف أن الناس يلحنون فى اللغة يجد أن هذا « برهاناً كافياً على وجوب إصلاح اللغة العربية ... » (٤) وهنا

(١) المصدر السابق : ١٥٧/١

(٢) المصدر السابق : ١٥٨/١

(٢) المصدر السابق : ١٥٨/١

(٤) المصدر السابق : ١٥٨/١

يجد « البك » مجاله لكى يتحفنا بحله النموذجى المستخدم لـ « التكتيك » الماسونى اللئيم فيقول : « لى رأى فى الإعراب أذكره هنا بوجه الإجمال ، وهو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأى عامل من العوامل ، بهذه الطريقة ، وهى طريقة جميع اللغات الإفرنكية واللغة التركية أيضاً ، يمكن حذق قواعد النواصب والجوازم والحال والاشتغال .... إلخ ... بدون أن يترتب عليه إخلال باللغة إذ تبقى مفرداتها كما هى » [1] .

وهكذا ينكشف حضرة « المجتهد » كخادم غبى وأحمق لأسياد ماسون من أوروبا المستعمرة الطامعة المعتمدة على أعوان لها من أهل الإسلام يعبثون لها بلغتهم العربية المقدسة ولو بتسكين أواخر الكلمات ففى هذا التسكين الكفاية لتحريف كلم القرآن - المحفوظ بعناية الله - فلا نعرف الفاعل من المفعول به ولا ندرى كيف نفهم آية كريمة مثل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [2] لو سكن الحرف الأخير من كلمة « الله » والحَرفَ الأَخَير من كلمة « العلماء » كما أراد واحد من الوسواسين الخنّاسين - ولعل القارئ يتذكر وسوسة مشابهة حامت حول القرآن الكريم كانت تبغى فتح المجال للعبث بالذكر الحكيم وذلك حين قام رجاء النقاش بحملة منظمة فى مجلة الهلال منذ ما يزيد عن عشرة أعوام يدعو إلى إلغاء رسم الكتابة القرآنية الموجودة حالياً

(١) المصدر السابق : ١٥٨/١

(٢) فاطر : ٢٨

والثابتة منذ أربعة عشر قرناً وإعادة كتابة المصاحف بالشكل الدارج فى الكتابة التى نكتبها . بحيث نعمد إلى تغيير كتابة القرآن كلما تغير شكل كتابتنا حتى تتاح الفرص بمرور الزمن واجتهاد الشياطين للعبث بكلم القرآن وتحريفه . كذلك وسوسة صلاح چاهين منذ حوالى العام حين دعا – بدون مناسبة – إلى كتابة القرآن الكريم بالحرف اللاتينى أسوة بكتاب وصل إليه من لبنان مكتوب باللغة العربية لكن بحروف لاتينية ووجد الأستاذ « الفاضل » أن الحرف اللاتينى أفضل للغة العربية من الحرف العربى !

سرب طويل من الوسواسين الخنّاسين .. سرب لن ينقطع فهم أدوات الفتنة والامتحانات التى شاء الله أن تكون لكى يبتلى بها عباده المؤمنين ليختبر صلابة إيمانهم وذكاء قلوبهم .

* * *

● تحرير المرأة .. والمرأة الجديدة :

بروحية مطفأة غادرة مراوغة ، تفرش نفسها تحت حروفه المنمقة وعباراته المصبوغة بطلاء البحث العلمى والتى تفضحه بالرغم عن ذلك عند كثير من المقاطع فتجعل القارئ الواعى مدركاً لنفاقه فى إشاراته المستسلمة لقانون الإسلام ، كتب قاسم أمين كتابيه الشهيرين « تحرير المرأة » عام ١٨٩٩ ، ثم « المرأة الجديدة » عام ١٩٠٠ .

فى هذين الكتابين نواجه بإصرار قاسم أمين وتكراره القول باحترامه الكامل لدين الإسلام وقبوله قوانينه كاملة بلا مناقشة وتأكيده أنه

يقبل الحجاب الشرعى الذى يُظهر الوجه والكفين وأن اعتراضه يقتصر على النقاب والمبالغة فى تغطية الوجه . ونجده لا يعترض على الطلاق وتعدد الزوجات فى حد ذاتهما لكنه يوضح أنه يعترض على سوء استخدام هاتين الرخصتين من المسلمين . كذلك فإن دعوته للاختلاط لا تتضمن السماح بالخلوة من دون مَحْرم . ونجده يناقش هذه الأمور دينياً بوقار وتركيز وسعة إطلاع فقهى لم نلمسهم عنده من قبل فى كتاباته الأخرى التى تنضح بخيانة الإسلام وقوانينه ومناداته صراحة بإباحة الجهر بالكفر حين يقول : « فى البلاد الحرة قد يجاهر الإنسان بأن لا وطن له ويكفر بالله ورسله ويطعن على شرائع قومه وآدابهم وعاداتهم ... يقول ويكتب ما شاء فى ذلك ولا يفكر أحد ... أن ينقص شيئاً من احترامه لشخصه متى كان قوله صادراً عن نية حسنة واعتقاد صحيح . كم من الزمن يمر على مصر قبل أن تبلغ هذه الدرجة من الحرية » ؟ (١) .

مثل هذه المقولات التى تنتشر كبثور القيح الملوث فى كل كتابات قاسم أمين تجعلنا لا نطمئن أمام الأجزاء الإسلامية الطيبة التى أوردها فى كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » حتى إننا نجد هذه الأجزاء الإسلامية غريبة ومقحمة ومتناقضة مع سياق الكتابين وروحية أجزائهما الأخرى . هذا التباين والاختلاف لاحظه قبلنا الدكتور محمد عمارة جامع الأعمال ومحققها ، ولهذا نجده يؤكد بقرائن بحثه

---

(١) المصدر السابق : ١/١٦٥

العلمى أن الأجزاء الإسلامية لم يكتبها قاسم أمين بل كتبها له الأستاذ الإمام محمد عبده فيقول الدكتور عمارة : « ... ففى تحرير المرأة وبالذات فى الفصول التى تتناول وجهة نظر الشريعة والدين فى هذه القضية ، نلتقى بمجموعة من الآراء الفقهية والمناقشات لا يستطيع أن يبحثها ولا أن يستخلصها كاتب مثل قاسم أمين ... وأهم من ذلك نجد أحكاماً كلية تدل على أن صاحبها ومصدرها قد استقصى بحث هذا الأمر فى جميع مصادره الرئيسية فى الفكر الإسلامى ، على اختلاف مذاهبه وتياراته الفكرية ، وهو الأمر الذى لا نعتقد أنه قد توافر فى ذلك العصر سوى لقلة قليلة فى مقدمتهم جميعاً الأستاذ الإمام (محمد عبده) » [1] ، والواقع أننى أجد نفسى مقتنعة تماماً بهذا الاستنتاج الذى يقدمه الدكتور محمد عمارة ، ليس بسبب قرائنه هذه فقط ولكن بسبب سمات التناقض والتشويش والتفاهة والتسطيح والانحناء الذليل للمدنية الغربية التى لازمت الأجزاء الأخرى فى الكتابين والتى تُعَد من خصائص شخصية قاسم أمين - وزملاؤه « تجار الشنطة الثقافية » - تلك السمات التى تختفى فى الأجزاء الإسلامية حيث تبرز محلها شخصية راسخة فى العلم ، غيورة على الإسلام الحقيقى نافضة عنه غلالات البدع والخرافات والعادات الجاهلية الدخيلة : شخصية متمسكة قبل كل شئ بالحل الإسلامى

---

(١) المصدر السابق ، المقدمة : دراسة فى فكر قاسم أمين ص ١٤٤

لنقائصنا ، بعيدة عن الدعوة القاسمية « محاكاة أوروبا » ! فنجد فى الأجزاء الإسلامية تكريس يدعم المدنية الإسلامية إذ نقرأ فيها : « ... ولو كان لدين سلطة وتأثير على العوائد لكانت المرأة المسلمة اليوم فى مقدمة نساء الأرض . سبق الشرع الإسلامى كل شريعة سواه فى تقرير مساواة المرأة للرجل ، فأعلن حريتها واستقلالها يوم كانت فى حضيض الانحطاط عند جميع الأمم ، وخولها كل حقوق الإنسان ، اعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل فى جميع الأحوال المدنية ، من بيع وشراء وهبة ووصية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها . وهذه المزايا ، التى لم تصل إلى اكتسابها حتى الآن بعض النساء الغربيات ، كلها تشهد على أن من أصول الشريعة السمحاء احترام المرأة والتسوية بينها وبين الرجل . بل إن شريعتنا بالغت فى الرفق بالمرأة فوضعت عنها أحمال المعيشة ، ولم تلزمها بالاشتراك فى نفقة المنزل وتربية الأولاد خلافاً لبعض الشرائع الغربية التى سوّت بين الرجل والمرأة فى الواجبات فقط وميّزت الرجل فى الحقوق » (١) . فأين من هذه الروح الإيجابية تجاه الإسلام هذا المقتطف الذى أوردته من قبل والذى ينم فى كل انحناءة حرف على أنه لقاسم أمين : « نحن لا نستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت فى فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها ، فليس خطؤها فى ذلك أكبر من خطئها فى كثير من الأمور الأخرى ... » .

---

(١) المصدر السابق : ١٥/٢

فيما عدا الأجزاء الإسلامية التى كتبها الأستاذ الإمام محمد عبده مستتراً تحت اسم قاسم أمين لا نجد فى بقية أقسام الكتابين سوى حشو ممل يضيق الصدر ويملؤه بالغيظ عن عظمة الأوروبين والأمريكان وعن أسباب تقدم الانجلو ساكسون : « كيف أن نشاطهم وجراءتهم وإقدامهم وتبصرهم وفطنتهم وجميع الصفات التى تعترف كل الأمم بامتيازهم فيها عن سواهم هى نتيجة لعب الكرة والسباحة وركوب الخيل ... [1] ومع هذا الحشو يشغلنا معه بنقده الجوانب التافهة من أخطاء المرأة المصرية والتى لا يجيد حتى حصرها فيتناقض : يأخذ عليها تارة كونها لا تجيد سوى التزين ومسامرة زوجها : « ولما لم يبق للعقل ولا للأعمال النافعة قيمة لديها وإنما بضاعتها أن تسلى الرجل وتمتعه .. وجهت جميع قواها إلى التفنن فى طرق استمالته إليها والاستيلاء على أهوائه وخواطر نفسه ... » [2] ثم يناقض قوله هذا بعد ست صفحات ويتهم المرأة المصرية بأنها جاهلة حتى بأمر زينتها ومسامرة زوجها فنراه يقول : « ... ذلك أن المرأة الجاهلة تجهل حركات النفس الباطنة ، وتغيب عنها معرفة أسباب الميل والنفور فإذا أرادت أن تستميل الرجل جاءت فى الغالب بعكس ذلك » [3] .

* * *

(١) المصدر السابق : ٢/٧٨

(٢) المصدر السابق : ٢/٢٣

(٣) المصدر السابق : ٢/٢٩

● ويبقى تساؤلنا :

* ما الذى دفع الأستاذ الإمام محمد عبده إلى عدم إصدار رأيه فى تحرير المرأة المسلمة - بعيداً عن قاسم أمين وغيره - على شكل رسالة مثل « رسالة التوحيد » بينما كان هذا واجب من أهم واجباته التى يضطلع بها كإمام مجتهد وأحد دعاة البعث الإسلامى ؟

* ما الذى دفع الأستاذ الإمام إلى إلصاق فكره الإسلامى وعلمه بعقل شائه متهافت متضعضع مثل قاسم أمين المسمم بمحاكاة أوروبا نقيضاً للعودة إلى تقاليد الإسلام ؟

* ما الذى دفعه إلى خلط ذهبه بعملة مزيفة تريد أن تنزل السوق برؤية الأستاذ الإمام الإسلامية تتستر تحتها لتتمكن من التداول بين المسلمين حاملة دعوتها المدمرة للسير نحو المدنية الغربية ؟

أما إجابتنا على التساؤل عما دفع قاسم أمين لانتحال علم الإمام فسهلة : حيث كان قاسم أمين ، مستعيناً بالتكتيك الماسونى ، ينتهج فى قضية المرأة سياسة تكسير الموجة : سياسة شيئاً فشيئاً ازحف وإلى جوارك الإمام ثم انخلع عنه تدريجياً وبعدها اضرب كما شئت عشوائياً فكل ما حولك عزيز وغال ويُستحسن التخلص منه . ثم انزل بثقلك لتملأ الفراغ بالنقل والنقل والنقل عن أوروبا من صغير الأمور إلى كبيرها وإذا ما وقف مبدأ إسلامى عقبة فى طريقك فاجرفه واقتلعه ، أما المرأة المسلمة التى ملأت أذنيها بشعار تحرير المرأة

البراق فاتركها لحجابها الشرعى الذى نادى به الأستاذ الإمام : اتركها نقلة زمنية مؤقتة فلسوف تنهمر السهام مكثفة بعد ذلك لتُسقط الحجاب الشرعى قطعة قطعة حتى العرى الكامل !

* * *

● من عبودية إلى عبودية :

وفعلاً استمر الالتواء بقضية « تحرير المرأة المسلمة » فتحولت من قضية للتحرير من عبودية الظلم والجهل ومطلب للانبعاث من حقوقها الشرعية فى التعلم والإنسانية التى كفلها لها الإسلام إلى حركة تنحرف إلى المطالبة بنزع الحجاب وحملة للسفور وتحقيق ذلك مع كسر متواصل دؤوب لأصول وميزان الإسلام فى البناء العقلى والنفسى والعصبى للمرأة المسلمة المعاصرة حتى وقعت بالنهاية فريسة بين جاهليتين : جاهلية قديمة تستمد موروثاتها المتخلفة من عقلية قبل الإسلام تقوم بوأد البنات ، وجاهلية جديدة غربية تستمد موروثاتها المتخلفة من عقلية مادية تجارية ذهبت إلى طرفى نقيض باستغلال أنوثة الأنثى واستثمارها فى إعلانات تسويق السلع والجذب السياحى والتشويق الفنى المحبذ لإباحه الأنثى وشيوعها وتقديمها كأحد أطباق المتعة للسيد الرجل !

وكانت النتيجة الطبيعية أن وجدنا - بعد مرور كل تلك السنوات على مطلب تعليم المرأة - أن ظلت غالبية النساء المسلمات أميات

جاهلات مسلوبات حتى من معرفتهن بعموميات الإسلام التى كانت تُلقن لهن ، بينما تفشت بينهن - بسرعة البرق - نزعة العرى والانسياق السوقى وراء قيم ومفاهيم المرأة الغربية التى وضعت لهن كمثل أعلى يحبذ اتباعه وتقليده ، فلم تتحرر المرأة المسلمة بل وقعت - بشكل أسوأ - فى الرق الجاهلى الجديد .

غير أن الشارع المصرى يخبرنا أنه قد آن الأوان لهذا المرض الطارئ - السفور وملحقاته الذى حط على أدمغتنا وأعمى عيوننا ما ينيف عن الخمسين عاماً - أن ينقشع وأن نبرأ منه ككل باطل مصيره أن نقذف بالحق عليه فنزهقه : إن الباطل كان زهوقاً . وطوبى لمن تنزع عنها غلالة الردّة الرجعية وتعود من اغترابها وغربتها وتأتى اليوم وغداً بالحجاب ومعها العلم والوعى والعمل والحرية بإذن الله ووفق قانونه وشريعته .

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [1] (صدق الله العظيم) .

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) آل عمران : ٨

محتويات الكتاب

الصفحة

رقم الإيداع ١٠٥٢٨ / ٩٤
I. S. B. N 977 - 225 - 064 - o